



حكّم عليّ بالسجن المؤبد فأظلمت الدنيا إمامي ودخلتُ السجن وأنا اشعرُ بذنب كبير ووغز اليم، شعرتُ خلالها إنني قاتل واستحق الموت، عشتُ بعدها أيام وشهور مليئة بالأرق والألم والندم على ما فعلت، وشعرتُ بذنب كبير، لقد صارت جدران سجنني ملحمة صراع نفسي

التقى بي وكان لقائه معي في ليلة مظلمة في زنزانة خُصصت لخاطي قاتل أشيم مثلي. فأناز بحبه ظلام سجنني، ومع أنني سمعتُ عنه الكثير من قبل واشتقتُ الى رؤيته. ولكن غرور الخطية وإغراء الشيطان تسببا في حرمانني منه زمناً طويلاً.

أما هو فقد سعى الي بطرقه العجيبة وتدابيره الصالحة، وأخذ يبحث عني كما يبحث الراعي المصالح عن خروفه المضال حتى يجده. ولستُ أذكر أنه عاتبني وأنبني بقدر ما أحبني وجذبني بقوة حبه، ولستُ أذكر أنه أخذ مني شيئاً، ولكنه أعطاني الكثير، أعطاني صفحاً وغفراناً، يقيناً وإيماناً، ثقة ورجاء، فرحاً وسلاماً، قوة وسلطاناً.

كيف استدارت عيني فأبصرت نوره المبهى ومجده السني؟! كيف أدركت أنني قد صرت ابناً له؟! كيف تغير القلب، وتجدد المذهن، وتبدلت الرغبات؟! لست أدري... ولو هذه المعجزة حدثت مع إنسان آخر لشككت في أمرها، ولكن بما أنها حدثت معي فلا أقدر أن أنكرها أو أشك في صحتها.

مضي الآن على تلك المقابلة ما يقارب 11 عاماً، وكأنها حدثت بالأمس القريب، فقد أنستني صحبته طول المسنين وظلام جدران سجنني الألم فلم أشعر بثقلها ووطأتها، وكأنني لم أجاهد أو تعب أو أكافح فهو الذي جاهد وتألّم وكافح عوضاً عني. مرات كثيرة كنت أنظر الى نفسي وأندهش كيف لا أعطي انتباهها بما يدور حولي؟! كيف لا أهتم بماض أو حاضر أو مستقبل؟! كيف أعيش في عالم مضطرب وفي ظروف صعبة وكأنني لا أبالي بشيء ولما أحس بشيء؟!!

دعوني أختصر لكم رحلة الإيمان التي بدأتها ولما زالت مستمرة و ستبقى الى آخر لحظة في حياتي على الأرض. والى أن أصل الى موطني السماوي.

تركت بلدي عام 1980 م في رحلة أيقنت فيما بعد أنها بداية رحلة إيماني العجيبة. هاجرتُ بطريقة غير شرعية وبظروف خارجة عن إرادتي الى إيران في بداية الحرب العراقية الإيرانية وبقية عدة شهور، وأكملت بعدها السفر الى تركيا وفي احد الأيام جاء البوليس الى المكان الذي كنت اسكن به واقتادني الى المخفر (قسم الشرطة) وكانت التهمة الموجهة لي بإنني دخلت البلد بغير جواز سفر فأدعيتُ بأني سوري الجنسية.

بعد مدة من التحقيق في الأمن التركي ابعدونني الى سوريا، بقيت في سوريا لمدة طويلة كنت حينها بين الفترة والآخرى اذهب الى لبنان، ولكن نشب خلاف بيني وبين احد الأشخاص الذي ترتب عليه ابعادي من سوريا والذهاب الى لبنان وبقية من بداية عام 1981 م الى عام 1990 م في لبنان تنقلت خلال هذه السنين من منطقة الى منطقة واشتغلت في كافة الأشغال. ولكن بعد إن بسطت القوات اللبنانية شرعيته في (جونيه) قررتُ الهجرة الى الخارج ماراً بقبرص الى بلغاريا، ثم أكملت طريقي الى موسكو الى أن وصلت أخيراً بالسويد.

في بداية 1993 قررتُ أن اصبح رجل أعمال فقمت باستيراد الثريات والأثاث وكانت سفريات كثيرة. في بداية دخولي الى السويد تعرضت الى احد النساء وهي عربية وكانت مطلقة وكانت ثمر هذه العلاقة ولد لي طفل منها، وكان هذا السر لا يعرف به أي إنسان. مرت السنين وأزداد عملي وازدادت معصيتي وأخطائي في كافة المجالات (لأن المال والشهوة) هما رأس الحربة في الحياة المحاضرة ونحن في بلد لا أستطيع أن أضفه.. تبدلت فيه أخلاق من كانت لهم أخلاق في بلادهم.

و شاءت الظروف اني اختلفت مع احد الأشخاص وهو كردي إيراني حول أمور مالية اردتُ تصفيتها معه بحضور بعض الأشخاص وكان لي معه قصة طويلة تخص العمل وكانت هذه الليلة التي بدأ الظلام يطبق على حياتي بشكل قاتم لا أرى فيه أي شيء. جلسنا في بيتي لتناقش المشكلة وطبعاً كنت قد جهزت طعاماً وشراب ولزوم السهرة. وكنا نجلس سوياً أمام المائدة وكانت على مائدة الطعام سكينه لقطع اللحم، لم أتمالك أعصابي عندما أمسكت السكينه بكل قوتي وضربته في صدره لكنني لم أكن أتوقع انه سليفظ أنفاسه الأخيرة في الحال. وحدث ما حدث. لا أستطيع الاستمرار في شرح ما حدث وما كان بداخلي من شعور في وقتها. كان هذا الفعل

المشنيع خارج عن ارادتي!:

حُكِّمَ عليّ بالسجن المؤبد فأظلمت الدنيا إمامي ودخلتُ المسجن وأنا اشعر بذنب كبير ووغز الميم، شعرت خلالها إني قاتل واستحق الموت، وشعرت إنني ضال وقاتل واستحق المقتل. عشتُ بعدها أيام وشهور مليئة بالأرق والألم والندم على ما فعلت. وشعرتُ بذنب كبير ووغز للضمير لأنني انتزعتُ روحاً ليس لي حق في ان انتزعتها. صارت جدران سجنى ملحمة صراع نفسي، تركني الجميع ولم يكثر بي إنسان حتى أهلي لأنهم اعتبروا اني جلبتُ عليهم عاراً وخزياً!

بكيت كثيراً وما أكثرها من ليالي توقفت الدموع لأن بكائي لا يفيد، لا أستطيع النوم والكوابيس تهاجمني عندما أغمض عيني، وتعاطيت الأدوية المهدئة التي كان يوصفها لي طبيب السجن، لأنني كنت حينها اشعر بذنب كبير يحيطني من كل جانب، ما أصعبه إحساس وما أفضعه من ألم وعذاب ضمير.

ومرت حوالي سنة ونصف وفي صباح احد أيام الأسبوع جاء لزيارتي قس المسجن الذي كان يزورني بين الحين والآخر للاطمئنان على وضعي النفسي. وفي زيارته المتألمة جلب معه لي بعض الصحف والمجلات باللغة العربية وكانت هنالك مجلة اسمها "كتابي" وبها إعدان عن وجود مدرسة تُدرّس الكتاب المقدس. فسألت نفسي لماذا لا اقتل وقت فراغي بالدراسة والمراسلة؟ قد يشغلني هذا الشيء عن التفكير بمشكلتي. فقامت بمراسلة هذه المدرسة وكان هنالك شخص يدير قسم المراسلة وهو مصري الجنسية يدعى (مراد غريب) راسلته ودرست معه الكتاب المقدس. أرسل لي الكتاب المقدس الذي مازلت احتفظ به كأعظم هدية وصلتني على الاطلاق! عندما درست الإنجيل درسته دراسة سطحية في بادي الأمر. فقط كانت الغاية قتل الفراغ ولشغل وقتي في الكتابة والمراسلة.

وبعد فترة انتهيت من الدراسة وانقطعت مراسلتي مع الأخ مراد غريب لعدة اشهر وفي احد الأيام من عام 1997 م وفي بداية العام وإثناء ترتيبتي لأغراضى للانتقال إلى قسم آخر في السجن ووجدت أمامي الإنجيل مرة ثانية كنت قد تركته بين أغراضى فأخذته وفتحتة ثم وضعتة بجانب رأسي بدون أي قصد أو أي تفكير، وفي المساء وبعد جهد الانتقال وتنظيف غرفتي (زنزانتني) بقيت مسترخياً في سريري وواضعاً يداي تحت رأسي وكان بجانب رأسي كتاب الحياة الكتاب المقدس مددت يدي وفتحتة بدون ان احدد الصفحة فووقت عيني على هذه الآية "وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية." وبعدها أكملت الآية التي شدتني أكثر لمعرفة المسيح "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" يوحنا 3: 16 ثم أكملت القراءة بعد هذه الآيات آيات أخرى جعلتني أفكر جدياً بالبحث والتمعن عن الحق والحقيقة وهي "لأنه لم يرسل الله ابنه الى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم" يوحنا 3: 17

ماذا أقول وماذا افعل أمام هذه الكلمات التي اعجز عن وصفها الآن لأنها تبع المحبة الأبوية التي وضعها الله أمامنا حتى نؤمن به. تأملت كثيراً هذه الآيات وتعريفها وشرحها ولكني عجزت في البداية عاودت قراءتها فلم افلح في معرفة معانيها مرة أخرى فنمت بعدها...

وفي الليلة الثانية بدأت بقراءة إنجيل يوحنا بشغف كبير ورغبة لم أشعر بها سابقاً وعندما وصلت الى الإصحاح الخامس والآية الرابعة والعشرون "الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية وما يأتي إلى دينونة بل ينتقل من الموت إلى الحياة.

تحيّرتُ جداً بعدها عاودت الكتابة الى الأخ (مراد غريب) موجهاً له عدة أسئلة فجاوبني عليها في عدة رسائل لازلت احتفظ بها، وشجعني على الدراسة وزودني بما احتاجه من كتب ومن دراسات ومراجع. فبدأت أتعمق وافهم أكثر وزادت معرفتي بأمر كثيرة في الإنجيل، وكنت في حينها لا زلت اقرأ فقط في العهد الجديد. ولكنني لم استطع بعد أو ازن أو أعطي أي رأي أو قرار فكنت بين الحين والآخر أناقش مراد غريب في التلفون او من خلال الرسائل البريدية. الغريب من الأمر إني بدأت لا اشعر بثقل السجن أو بالمعنى الأصح تناسيت هذا السجن من خلال أنشغالي في التفكير والقراءة والتمعن.

وكنت أعيد إنجيل يوحنا لا ادري ما هو السبب؟! ولكنني كما قلت جذبتني الأقوال والكلمات بالإنجيل. أخذتني القراءة الى رحلة فكرية فريدة أحسست بان شيء ما غريب يحاول ان يدق باب أفكاري بكل لحظة ويجعلني أفكر في اتخاذ قرار معين لا اعرف المقصود به؟ وما هو هذا القرار الذي يجب أن أتخذه؟ الأمر الذي انتبهت له من خلال قراءتي هو قناعاتي الفكرية لكل كلمة مكتوبة في الإنجيل، ولكن هنالك أمامي حاجز واحد هو صلتي بخلفيتي وقناعاتي السطحية بمعتقدتي وما مكتوب به دون تعمق دراسي أو تفسيرية. كنت محتاراً وواضعاً أمامي قرار صعب هل أؤمن بالإنجيل بعد هذه الدراسة والبحث؟

بدأت في حيرة من أمري وكلما يصعب على الأمر أو اقف حائر أذهب إلى إنجيل يوحنا وأحاول أن أتعمق وأتأمل أكثر بكل

كلمة. أحسست بشيء بدأ يشغل فكري لا أستطيع أن احدهه أو استوعبه، ووقفت حائراً، شعرت بالجوع والعطش الفكري لأنني قررت ان اعرف الحقيقة كاملة ..

وفي احد الليالي كنتُ ذاتماً على سريري متأملاً ما يدور في فكري وفي نفس الوقت كنت أيضاً سعيداً وفرحاً لأنني شعرت انه منذ أنني بدأت طريق بحثي عن الحقيقة بأن أيام سجنني وشهورها بلسنينها بدأت تمر بسرعة. في تلك الليلة عينها لم أتعشى أو اشرب أي شراب ولمكني ذهبت الى فراشي فأمسكت بالإنجيل لأعاود القراءة وفي هذه المرة بدأت اقرأ وعندما وصلت الى هذه الكلمات بالإنجيل كما دونه يوحنا والمصاحح السابع والعدد 37 "إن عطش أحد فليقبل إلي ويشرب، ومن آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي". بالرغم من اني قرأت هذه الكلمات عدة مرات إلا انني وقفت متحيراً! لمن كتبت هذه الكلمات؟ ولماذا كتبت؟

فأخلفت الكتاب عندما انتهيت من قراءة هذه الآيات التي جعلتني اشعر بحزن اتجاه ذلك الانسان الذي غسل أرجل تلاميذه، الذي ترك السماء وتنازل لكي ما يأتي الى أرضنا، الذي أحب الخطاة حب لا مثيل له، الذي ضحى بنفسه وبحياته من أجل الأثمة والملصوص والمقتلة والزناة، الذي لم يفعل خطية ولم يكن في فمه غش أو كذب. أغمضت جفني لأنام وأنا في حيرة أحسست بأنه يجب علي أن اتخذ القرار ولمكني ترددت وفي نفس الوقت كان إحساسي يقول لي هذه هي الحقيقة حاولت الهروب منها فلم استطع، أغمضت جفني لأنام وقلت قبل ان أنام سأغير قراءتي من إنجيل يوحنا لأن إنجيل يوحنا بدأ يشغل فكري ويقلقني كثيراً لأنني لم أرى ولم أقرأ في أي كتاب يمثل هذه المحبة الموجودة في إنجيل يوحنا.. نمت بعد صراع فكري ولمكني نمت مستريح وإمتلأ كياني بفرح وسلام لم يسبق أنني شعرت به من قبل. وفي تلك الليلة ظهر لي في المنام شخص ناصع البياض في ثيابه أما ملامحه فلم استطع ان أميزها لأنها كانت نور! قال لي بالحرف الواحد " لماذا أنت متحير أنا هو يوحنا الذي تقرأ في إنجيله كل ليلة، الطريق أمامك واضح أمن بما يؤمن به أخاك مراد " ... أعاد هذه الكلمات عدة مرات واختفى أفقت من حلم لم احلم به من قبل. وكانت الساعة تقريباً تقارب الثالثة صباحاً فأمسكت الإنجيل وفتحت نفس الصفحة التي قرأتها بالمصاحح السابع والعدد 37 لأنني وضعت بين الصفحات ورقة صفراء اهدت القراءة " إن عطش احد فليقبل إلي ويشرب" ثم أخلفت الإنجيل وكانت أفكارني مشدودة لهذه الكلمات العظيمة. شعرت في تلك الليلة بأنه علي أن اتخذ قراراً حاسماً أو ابتعد عن ما قد سوف يشغلني ويشتت أفكارني.

ولمكني في هذه الليلة رفعت نظري الى السماء وهذه أول مرة انطق بكلمات تخرج من أعماق قلبي وقلت : يارب أريد ان ترشدني، يارب أفضو عني لأنني إنسان قاتل ومجرم ... أعني، ساعدني يارب. هذا ما طلبته من الله في لحظات شعرت بضغفي وهجزي. ونمت وفي هذه الليلة عاودني الحلم مرة ثانية وسمعت الصوت ذاته وقال لي " أمن بما يؤمن به أخاك مراد" غلب على النعاس فلم أفق في الصباح ورفعت سماعة التلفون لأتكلّم مع الأخ مراد غريب، طال حديثي معه هذه المرة وأثناء حديثي أخبرته بأنني قبلت المسيح مخلصاً على حياتي بعد رحلة طويلة من الدراسة والتأمل ..

في نفس اليوم اتجهت وتحدثت الى قس السجن وطلبت منه ان يعمدني فتعمدت. وبعد هذا الصراع المرير وبعد هذا الدرس الكبير، والمذل المرهيب، والذنب العظيم، امتدت لي رحمة الله فلم توقفها جدران السجن، أو تمنعها كوني مجرم قاتل لكنها وصلت لي لتنتشل إنساناً أثيم مثلي، فلم أكن أتصور بعد أن إله السماء ما زال يحسبني بين أهداد الأحياء، ولم أكن أحلم بأنه سيأتي علي مثل هذا اليوم الجديد. بعد أن صارت أحلامي مجرد كوابيس، وبعد أن صارت أيامي لحظات تأنيب وأنين، ولكن سقطت كل توقعاتي وتلاشت جميع أوهامي عندما أضاء الرب ليلى الدامس، ورفعتني من المذلة، ورضي أن يرتبط بي كآب، ويتبنى مجرم نظيري، ما أعجبه إله وما أروعه أب حنون!

من هنا كانت البداية التي لا تنتهي، سأظل أعلن حب الله للجميع، لا يوقفني إنسان، ولا يمنعني شيطان، ولأخبر عن عمل النعمة وعن اختبار التغيير. لقد أنقذني يسوع من حمأة الخطية، فيسوع ربي وسيدي وملكي وإلهي له كل المجد أمين .

لم تتغير حياتي فحسب بل تغير اسمي أيضاً واصبح (يوحنا الأسير) وأنا أخدم الرب من داخل اسوار السجن وأقوم بإصدار مجلة (صفراء في سلاسل) والتي تصدر 4 مرات في السنة، الى جانب خدمة المتابعة والمراسلة مع الكثيرين حول العالم ومن كل الخلفيات.

{flv}lasso{/flv}